تجرعُ مَرَارَةِ البَلَاءِ وَانتِظارُ الفرجِ مِن ربِّ السَّمَاءِ

جمع وترتيب:
إسماعيل حمودي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله لا وحده شريك له والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد :فإن الله عزوجل خلقنا لعبادته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ والعبادة اسم جامع لكل ما يُحبه الله . ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فلابد من جهاد النفس والشيطان والصبر على ذلك والله يوفق من يشاء من خلقه.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير الآية السابقة (الذاريات٥٦) هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها ، وبعث جميع الرسل يدعون إليها ، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته ، والإنابة إليه ، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك متوقف على معرفة الله تعالى ، فإن تمام العبادة ، متوقف على المعرفة بالله ، بل كلما ازداد العبد معرفة بربه كانت عبادته أكمل ، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله ، فما خلقهم لحاجة منه إليهم.

فالعباد خلق ضعفاء محتاجون لرب السماء، فهو القوي المتين يتصرّف في خلقه بما يشاء. يبتلي هذا بالفقر وهذا بالمرض ويبتلي بالغنى وغيرها من الفتن.

وقد قرأت بعض الآيات تحث على الصبر والثبات عند البلاء فأحببتُ أن أذكر نفسي بها من حين لآخر، فجمعت هذه الرسالة من قول الله تبارك وتعالى وحديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأقوال علماء الأمة. راجيا من الله أن ينفع بها كل من قرأها أو نشرها أو صححها.

والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يثبتنا ويحفظنا كما أسأله تبارك وتعالى أن يثبت العلماء والدعاة إلى الخير ويجمع كلمتهم إنه القادر على كل شيء ولايعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

1-البلاء عام لكل الناس :

أوجدنا الله في هذه الدار لعبادته وأرسل الرسل واصطفاهم لإخراج العباد من عباده. المخلوقات إلى عباده رب المخلوقات فقاموا بالدعوة إلى التوحيد وصبروا على ذلك، وقد قامت الحجة على جميع الناس. كما أن البلاء حاصل وعام.
قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾ الملك: ٢ و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ العنكبوت: ٢ – ٣.
ومن تمام عدل الله ورحمته البلاء. وتبين ذلك ان الله يبتلي العالم والجاهل والمسلم والكافر فيزداد الصابر قربا من الله وهذا من تمام رحمته ويزداد الكافر بعدا من الله وبغضا ويتميز الصادق ورفعا للدرجات وبعدا عن المعاصي والمهلكات،

من الكاذب والصالح من الطالح .

وللشيخ السعدي رحمه الله كلام نفيس: "يخبر تعالى عن تمام حكمته وان حكمته لا تقضي ان كل من قال "أنه مؤمن" وادعى لنفسه الإيمان.ان يبقوا في حالة يسلمون فيها من الفتن والمحن ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه .
فانه لو كان الأمر كذلك لما لم يتميز الصادق من الكاذب والمحق من المبطل، ولكن سنته تعالى وعادته في الأولين وفي هذه الأمة ان يبتليهم بالسراء والضراء. والعسر واليسر والمنشط والمكر والغنى والفقر و إدالة الأعداء بالقول والعمل، ونحو ذلك من الفتن. التي ترجع كلها إلى فتنة الشبهات المعارضة للعقيدة والشهوات المعارضة للإرادة.

1/فمن كان عند ورود الشبهات: يثبت إيمانه ولا يتزلزل ويدفعها بما معه من الحق .وعند ورود الشهوات الموجبة و الداعية إلى المعاصي والذنوب أو الصارفة من أمر الله به ورسوله ،يعمل بمقتضى الإيمان و يجاهد شهوته دل على صدق إيمانه وصحته.

2/ومن كان عند ورود الشبهات: تؤثر في قلبه شكا وريبا وعند اعتراض الشهوات تصرفه إلى المعاصي أو تصده عن الواجبات دل ذلك على عدم صحة إيمانه وصدقه.

والناس في هذا المقام درجات لا يحصيها إلا الله ،فمستقل ومستكثر،فنسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وإن يثبت قلوبنا على دينه ، فالابتلاء والامتحان للنفوس بمنزلة الكير يخرج خبثها وطيبها .
انتهى كلامه رحمه الله.

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٧ – ١٣٨.

فالبلاء سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ،فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
وكل فتنة وبلاء بما قدمت أيدينا، وليس الله بظلام للعبيد.

قَالَ تَعَالَى:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٢.

قَالَ تَعَالَى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأنفال: ٥٣.

فكلما ازداد العبد شكرا لله زاده الله من النعم الدينية والدنيوية ومن كفر وبدل وغير النعم، من عبادة الواحد القهار إلى الشرك والعصيان ومن صدقة وإحسان إلى شح وظلم وبهتان، جزاه الله من جنس عمله ،نسأل الله الثبات على الدين.
قال الشيخ السعدي رحمه الله :"ولله الحكمة في ذلك والعدل والإحسان إلى عباده حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم وحيث جذب قلوب أوليائه إليه، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره".
والبلاء سنه الله في خلقه، فالأمم السابقة ابتلاهم الله فمنهم من نجى بفضل الله، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أغرقه الله ومن خسف بهم الأرض، وما زال الله يبتلي هذه الأمة بالهرج والزلازل وعدم الأمن لترجع إليه وتتعلق قلوبنا به سبحانه، نعم المولى ونعم النصير.

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ التوبة: ١٢٦.

والعذاب إذا حل أصاب الصالحين أيضا. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أنزلَ اللهُ بِقومٍ عَذَاباً أَصَابَ العَذابَ مَنْ كَانَ فيهِم ثمّ بَعثُوا عَلَى أَعْمَالِهِم" باب التقرب في الفتن مختصر صحيح البخاري ٢١٩٣ أخرجه مسلم ١٨٦٢.

فإذا علم ان البلاء والمحن من تقدير الله عز وجل وهو سنة من سنن الله في خلقه وجب الصبر والتضرع ودعائه سبحانه وتعالى.

2- الصبر والرضا عند البلاء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾ التوبة: ٥١.

قال الشيخ السعدي رحمه الله أي ما قدره الله وأجراه في اللوح المحفوظ (هو مولانا) أي: متولي أمورنا الدينية والدنيوية. فعلينا الرضا بأقداره وليس بأيدينا من الأمر شيء (وعلى الله) وحده (فليتوكل المؤمنون) أي: ليعتمدوا عليه في جلب مصالحهم. ودفع المضار عنهم. وليثقوا به في تحصيل مطلبهم ، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فانه مخذول غير مدرك لما أمل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له". رواه مسلم ٢٩٩٩.

قال ابن القيم الجوزية في مدارج السالكين: " فالصبر حبس النفس من الجزع والسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش".

قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول" كان صبر يوسف عن مطاوعه امرأة العزيز على شأنها: أكمل من صبر على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه وتفريقهم بينهم وبين أبيه فان هذه الأمور جرت عليه بغير اختياره. لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا، ومحاربة للنفس ولا سيما مع الأسباب التي تقوي معها دواعي الموافقة...

-قيل: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

-وقيل: تعويض النفس الهجوم على المكاره.

-وقال: عمرو بن عثمان هو الثبات مع الله، وتلقي بلائه بالرحب والدعة.

-وقال الخواص: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

-وقيل: هو ترك الشكوى.

-وقيل: الصبر مثل اسمه مر مذاقه لكن عواقبه أحلى من العسل

الصبر في البلاء بملاحظة حسن الجزاء وانتظار روح الفرح وتهوين البلية. بعد أيادي المنن وتذكر سوالف النعم.

1) ملاحظة حسن الجزاء: وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء، لشهود العوض. وأجمع عقلاء كل امة على ان النعيم لا يدرك بالنعيم. وان من وافق الراحة فارق الراحة. وحمل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة فإن قدر التعب تكون الراحة.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكريم الكرائم

ويكبر في عين الصغير صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائم

2) انتظار روح الفرج: يعني راحته ونسيمه ولذته ،فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخلف حمل المشقة، ولاسيما عند قوة الرجاء أو القطع بالفرج،فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ماهو من خفي الألطاف وماهو فرج معجل.

3) تهوين البلية بعد أيادي المنن وبذكر سوالف النعم. **بأمرين:**

أ- **ان بعد نعم الله عليه وأياديه عنده** ، عجز عن عدها، وأيس من حصرها هان عليهما هو فيه من البلاء و رآه بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه كقطرة من بحر.

ب- **تذكر سوالف النعم التي انعم الله بها عليه:** فهذا يتعلق بالماضي وتعداد أيادي المنن: بتعلق بالحال وملاحظة حسن الجزاء وانتظار روح الفرج، يتعلق بالمستقبل.

ويحكى عن امرأة من العابدات أنها عثرت فانقطعت أصابعها فضحكت فقال لها بعض من معها: أتضحكين وقد انقطعت أصابعك. فقالت: أخاطبك على قدر عقلك. حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها.

وكل من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا رضي بما يفعله الله، ويعطيه إياه، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ نبيًّا" رواه مسلم (٣٤) والترمذي (٢٦٢٣).

وقال صلى الله عليه وسلم : "من قال حين يسمع النداء، رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا غفرت له ذنوبه" رواه أبي داود (١٥٢٩)،مسلم (٣٨٦)،الترمذي (٣٣٨٩).

فمن رضي بالله ربا رضي الله له عبدا، ومن رضي عنه في عطائه ومنعه وبلائه وعافيته لم ينال بذلك درجة رضا الرب عنه ان لم يرضى به ربا، وبنبيه رسولا وبالإسلام دينا فان العبد قد يرضى عن الله ربه فيما أعطاه وفيما منعه، ولكن لا يرضى به وحده معبودا وإلها ولهذا إنما ضمن رضا العبد يوم القيامة لمن رضي به ربا. من كلام الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين مع قليل من الاختصار.

والعقيدة هي الركيزة والأساس الذي يقوم عليها الدين ،فمن لم يكن له إيمان صادق وتوحيد خالص لله تبارك وتعالى كانت حياته مظلمة وتعيسة.

كلما أراد الخروج منها لم يستطع ولم يجد لذلك حلاً ولا سبيلاً الله ، ومن كان صادقاً مع الله، عابداً طائعاً خاشعا لله ازداد شوقا ومحبة للخالق ، فصبر على البلايا والمصائب وهانت في عينيه ويسرها الله تبارك وتعالى ، فارتاح قلبه وعلت همته ، واتسع صدره وازداد عملاً وعلما و توفيقا - فالله نسأل أن يعلّمنا التوحيد الخالص ويميتنا شهداء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ آل عمران: ٢٠٠.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير الآية ثمّ حضّ المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح، وهو الفوز بالسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك، لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما نكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

والمصابرة :هي الملازمة والاستمرار على ذلك ، على الدوام ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال.

والمرابطة :وهو لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه ، وأن يُراقبوا أعداءهم ، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم لعلهم يفلحون :يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي ، وينجون من المكروه كذلك .

فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات ، فلم يفلح من أفلح إلا بها ، ولم يفت أحد الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها. والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا بالله." قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله :

قال الحسن : "الصبر كنز من كنوزالخير، لا يُعطيه الله عز وجل إلا لعبد كَرُم عنده".

وكان بعض العارفين في جبيه رقعة يُخرجها كل ساعة فيطالعها، وفيها .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ ﴾ الطور: ٤٨.

واعلم أن الصبر من خاصية الإنسان ، ولا يتصور في البهائم لنقصانها وغلبت الشهوات عليها من غير شيء يقابلها ، ولا يتصور الصبر أيضا.

من الملائكة لكمالها ، فإن الملائكة جردوا الشوق إلى حضرة الربوبية، ولم تسلط عليهم شهوة صارفة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصدها من حضرة الجلال.

وأما الإنسان فإنه خُلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة، لم يُخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه ، ثم تظهر فيه شهوة اللّعب والزينة ، ثم شهوة النكاح ، وليس له قوة الصبر، فإذا تحرك العقل وقوي ظهرت مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التميز . وينمو على التدريج إلى سن البلوغ . كما يبدوا نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ، ولكنها هداية قاصرة لا مُرشد لها إلى مصالح الآخرة ، فإذا عضد بمعرفة الشرع تلمح ما يتعلق بالآخرة وكثر سلاحه ، إلا أن الطبع يقتضي ما يحب ، وباعث الشرع والعقل يمنع ، والحرب بينهما قائمة ، ومعركة هذا القتال قلب العبد ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوات ، فإن ثبت حتى قهر الشهوة التحق بالصابرين ، وإن ضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها ، التحق بأتباع الشياطين ، وإذا ثبت أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين فالمقاومة باعث الهوى . فهذه المقاومة من خاصة الآدميين.

.....الصبر على ضربين : بدني :" كتحمل المشاق بالبدن.والآخر الصبر النفساني عن مشتهيات الطبع ".(مختصر منهاج القاصدين ص ١٣٧٣ تحت كتاب : الصبر والشكر، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي رحمه الله) ثم ذكر رحمه الله (ابن قدامة المقدسي) تحت المخالف للهوى ثلاثة أقسام احدها: القسم الأول الطاعات : ويحتاج المريد إلى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال:

1-حال قبل العبادة: تصحيح النية و الإخلاص ، والصبر من شوائب الرياء

2-حال في نفس العبادة: وهي أن لا يغفل عن الله تعالى في أثناء العبادة ، ولا يتكاسل عن تحقيق الآداب والسنن ، فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ من العمل.

3-بعد الفراغ من العمل : وهي الصبر عن إفشائه ، والتظاهر به لأجل الرياء.

والسمعة ، وعن كل مايبطل عمله ، فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى أبطلها.

القسم الثاني: الصبر عن المعاصي: كمعاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء ونحوه.

القسم الثالث: مالا يدخل تحت الاختيار، كالمصائب، مثل: موت الأحبة وهلاك الأموال، وعمى العين، وزوال الصحة، وسائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى المقامات، لأن مستنده اليقين. وقد قال صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يصب منه"، أخرجه أحمد (١٣٣٥) والبخاري (٠٦٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والصبر على أذى الناس من أعلى المراتب قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦ ﴾ آل عمران: ١٨٦ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ ﴾ الحجر: ٩٧.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عز وجل بها عنه ، حتى الشوكة يشاكها " أخرجه أحمد (٢٤٠٧٣) و البخاري (٥٦٤٠) ، ومسلم (٢٠٧٢)، والترمذي (٩٧٠)] .

وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء ؟ قال : " الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل من الناس ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلابة زيد في بلائه . وإن كان في دينيه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة ". أخرجه أحمد (٩٨١١) والترمذي (٢٣٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله منه . قال الترمذي : هذا حديث زيد في حسن صحيح.

و دعاء الله عز وجل في كل حين سبيل للمخرج من كل هم وضيق.

3- التضرع والدعاء والاهتمام بالمأثور من الأدعية المستجابة

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ الأعراف: ٥٥. وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ غافر: ٦٠.

فمن رحمة الله عز وجل أن دعانا لما يحيينا حياة طيبة، وما فيه نفع لأنفسنا ومجتمعنا، فتنشرح صدورنا ونرى الحياة الدنيا على حقيقتها والدار الآخرة بين أعيننا، فتصلح لنا دنيانا من معيشة واستقرار وأمن وسلام .

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ ﴾ الأنفال: ٢٤

قال الشيخ السعدي رحمه الله : وقوله:﴿ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾

وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله، على الدوام. ثم حذر عن عدم الاستجابة لله والرسول فقال : "واعْلَمُوا أن الله يَحُول بينَ المَرءِ وقلبِهِ". فإياكم أن تردُّوا أمر الله، أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك. وتختلف قلوبكم فإن الله يحول بين المرء وقلبه، مقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء فليكثر العبد من قول : " يا مُقلب القُلوبِ ثبت قلبِي على دينِك ، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك".

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨ ﴾ الأنعام: ١٧ -١٨.

قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤ ﴾ الأنعام: ٦٣ - ٦٤.

فالله تبارك وتعالى يريد منا الالتجاء إليه والتضرع والتقرب إليه بقلب خاضع ولسان لا يزال يلهج بحاجته في الدعاء] الشيخ السعدي رحمه الله وهو كله من العبادة، بل هو العبادة . كما جاء في الحديث الصحيح: "الدعاء هو العبادة"

وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ﴾ الأعراف:٩٤.

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ ﴾ الأنعام: ٤٢ -٤٤.

نعوذ بالله أن يأخذنا على حين غفلة كما أسأله أن يوفقنا للتضرع والمداومة على الدعاء إنه قريب مجيب.

والتوبة والرجوع إلى الله من أسباب استجابة الدعاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ ﴾ نوح: ١١ -١٢.

و من الأدعية المأثورة:

1- سيد الاستغفار:

إن من الأذكار العظيمة والدعوات المباركة التي ينبغي على المسلم أن يحافظ عليها كل صباح ومساء، ما ثبت في صحيح - البخاري من حديث شدّاد ابن أوس الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" سَيِدُ الاستغفَار أن يقول اللَّهم أنتَ ربي لاَ إله إلا أنتَ، خلَقتني وأنَا عَبدُك ، وأنا على عَهدكَ ووعدكَ ما استطَعت، أعوذُ بكَ من شَر ما صَنعت، أبُوء لكَ بنعمتك علي، وأبوءُ لكَ بذَنبي فاغفِر لي، فإنه لَا يغفِر الذنوبَ إلا أنتَ". من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة (صحيح البخاري رقم (٢٣٠٦)] .

فهذا الدعاء عظيم جامع لمعاني التوبة والتذلل لله تبارك وتعالى والإنابة إليه ، وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه سيد الاستغفار ، وذلك لأنه قد فاق سائر صيغ الاستغفار في الفضيلة ، وعلا عليها في الرتبة ، ومن معاني السيد: أي الذي يفوق قومه في الخير ويرتفع عليهم . ووجه أفضلية هذا الدعاء على غيره من صيغ الإستغفارأن النبي صلى الله عليه وسلم بدأه بالثناء على الله والاعتراف بأنه عبد لله مربوب مخلوق له عز وجل. وأنه سبحانه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، وأنه مقيم على الوعد ، ثابت على العهد من الإيمان به وبكتابه وبسائر أنبيائه ورسله، وأنه مقيم على ذلك بحسب طوقه واستطاعته ، ثم استعاذ به سبحانه من شر كل ما صنع من التقصير في القيام بما يجب عليه من شكر الإنعام وارتكاب الآثام .

ثم أقر بترادف نعمه سبحانه وتوالي عطاياه ومننه ، واعترف بما يصيب من الذنوب والمعاصي ثم سأله سبحانه المغفرة من ذلك كله، معترفا بأنه لا يغفر الذنوب سواه سبحانه (فقه الأدعية والأذكار ج3، لفضيلة الشيخ : د عبد الرزاق البدر بن عبد المحسن حفظهما الله.

2- الدعاء باسمه الأعظم:

الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل بيه أعطى. روى الإمام أحمد في المسند، وأبو داود والنسائي : عن أنس بن مالك رضي الله عنه: " أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجُلاً يقول : اللّهُم إني أسألُكَ بأنَّ لك الحمدُ، لاَ إلّه إلا أنتَ وحدَك لا شريكَ لكَ، المنان بديعُ السَّموات والأرضِ، ذو الجَلالِ والإكرامِ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :" لَقد سَألتُ اللَه باسمه الأعظَم الذِي إذا دعِي بِه أجابَ وإذا سَئل به أعطَى".

وروى ابن ماجه والحاكم وغيرهما عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن :" في البقرة وآل عمران وطه" أحمد وأصحاب السنن وابن حبان في صحيحه عن بريدة رضي الله عنه قال : " سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : " اللّهُم إني أسألكَ بأني أشهد انَّك أنتَ اللهَ لَا إلَهَ إلا أنتَ الأحَد الصمَد الذي لَم يلِد ولم يُولد ولم يكُن له كُفؤًا أحد". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد سَأل الله باسمِه الأعظَم الذِي إذَا سُئل به أعطَى وإذا دُعي به أجَاب".

- وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ البقرة: ١٦.

وفاتحة آل عمران قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ آل عمران: ١ – ٢.

ذكر فضيلة الشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله وغفر له في كتابه الرائع "فقه الأسماء الحسنى " بعد ذكر هذه الأحاديث.

ومن أهل العلم من قال: "إن الاسم الأعظم جنس لا يراد به اسم معين : فإن أسماء الله نوعان: أحدهما: ما دل على صفة. أو صفتين أو تضمن أوصافا معدودة، والثاني ما دل على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمن ماله من نعوت العظمة والجلال والجمال، فهذا النوع هو الاسم الأعظم : لما دلّ عليه من المعاني التي هي من أعظم المعاني وأوسعها، فالله اسم أعظم، وكذا الصمد وكذلك الحي القيوم، وكذلك الحميد المجيد، وكذلك الكبير العظيم وكذلك المحيط"نقله غفر الله له من فتح الملك العلام، لابن سعدي (ص: ٢٢ - ٢٧) .

ثم قال حفظه الله : " فهذه الأقوال الثلاثة هي أولى ما قيل في الاسم الأعظم، وعلى كل فهذه مسألة اجتهاد لعدم وجود دليل قطعي الدلالة على التعيين يجب أن يُصار إليه، إلا أن من دعا الله بالأدعية المتقدمة فقد دعاه باسمه الأعظم، الإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عمن دعا الله بذلك بأنه دعاه باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب ،والله وحده ولي التوفيق ".

3-دعاء الغم والهم والحزن :

جاء في المسند للإمام أحمد وصحيح ابن حبان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: " اللّهُم إني عبدُكَ وابن عبدِكَ وابن أَمَتكَ ناصِيتي بيدِك ماضٍ في حكمك عدل في قضَاؤك، أسألكَ بكل اسمٍ هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابكَ، أو علمتِه أحدا مِن خلقكَ أو استأثرتَ به في عِلمِ الغيبِ عندك أن تجعلَ القرآنَ ربيع قلبي، ونورَ صَدري وجَلاء حُزني وذهَاب هَمي".

إلا أذهب الله عز وجل همه، وأبدله مكان حزنه فرحا، قالوا : يا رسول الله : ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات ؟ قال: " أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن "مسند أحمد (٣٩١ /١١) و صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩).

4-الدعاء بما دعا به الأنبياء وهم أشد بلاء:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ آل عمران: ٣٨.

قال الشيخ السعدي رحمه الله وغفر له "... فلما رأى زكريا عليه السلام ما مَّن الله به على مريم ، وما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعي منها ولا كسب، طمعت نفسه بالولد، فلهذا قال تعالى:"وهنالك دعا زكريا ربه" أي : دعا زكريا عليه السلام ربّه أن يرزقه ذرية طيبة، أي : طاهرة الأخلاق، طيبة الآداب، لتكمل النعمة الدينية والدنيوية بهم

فاستجاب له دعاءه، وبينما هو قائم في محرابه يتعبد لربه ويتضرع، نادته الملائكة "أن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله".

- قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله وغفر له:

من فوائد الآية:

1- أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله حتى الأنبياء لا يستغنون عن دعاء الله لقوله "و دعَا زكريا ربّه".

2- إثبات القياس ، لأنه لما رأى أنّ الله يرزق هذه المرأة بدون سبب معلوم علم أن الذي يسوق لها الرزق ، وهي امرأة منقطعة عن التكسب في محرابها ، قادر أن يرزقه ، فيكون الانتقال من الشيء إلى نظيره ، وهذا هو نفس القياس، إذن هو استدل أو أخذ من هذه القصة عبرة وهو أن يسأل الله أمرا وإن كان مستبعدا. (قصص الأنبياء من تفسيري : الشيخ السعدي و ابن عثمين رحمها الله).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ قال الشيخ السعدي رحمه . "النبي الكريم الذي لم يجعل الله له من قبل سميًّا "وأصلحنا له زوجه" بعدما كانت عاقرا لا يصلح رحمها للولادة، فأصلح الله رحمها للحمل لأجل نبيه زكريا وهذا من فوائد الجليس والقرين الصالح أنه مبارك على قرينه فصار يحيى مشتركا بين الوالدين".

❖ دعاء ذو النون يونس عليه السلام : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾ الأنبياء: ٨٧.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره:

"فأقر الله تعالى بكمال الألوهية، ونزله عن كل نقص وعيب وآفة واعترف بظلم نفسه و جنايته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ﴾ الصافات: ١٤٣-١٤٤.

"أي في وقته السابق بكثرة عبادته لربه وتسبيحه وتحميده وفي بطن الحوت حيث قال : لا إله إلا أنت سبحانك". "للبث في بطنه إلى يوم يبعثون" أي : لكانت مقبرته، ولكن بسبب تسبيحه وعبادته لله، نجاه الله تعالى، وكذلك يُنجي الله المؤمنين عند وقوعهم في الشدائد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ الأنبياء: ٨٨.

أي : الشدة التي وقع فيها ، وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة رغم أن الله تعالى سينجيه منها ، ويكشف عنه ويخفف لإيمانيه.

كما فعل يونس عليه السلام قال صلى الله عليه وسلم : "تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة". (ب.م).

❖ دعاء ايوب عليه السلام (الصابرالمحتسب):

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾ الأنبياء: ٨٣ – ٨٤.

قال الشيخ السعدي في تفسيره: أي واذكر عبدنا ورسولنا أيوب - مثنيا معظما له، رافعا لقدره حين ابتلاه ببلاء شديد، فوجده صابرًا راضيا عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاء من الله و امتحانا، فنفخ في جسده، فتقرح قروحًا عظيمة

ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، ومات أهله وذهب ماله، فنادى ربه : ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

أي جعلناه عبرة للعابدين الذين ينتفعون بالعبر فإذا رأوا ما أصابه من البلاء ثم ما أثابه الله بعد زواله ، ونظروا السبب وجدوه الصبر. ولهذا أثنى الله عليه به في قوله﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ ص: ٤٤.

ولما دعا أيوب ربّه، استجاب الله له بأن قال له:﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ ص: ٤٢.

لأنه عليه السلام ابتلاه الله في جسده، كما سبق، حيث قال: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ ص: ٤١.

فشفاه الله بأن أخرج له من الأرض عين اغتسل منها وشرب حتى أذهب عنه الضر. وأغناه الله وأعطاه مالاً عظيماً، حيث صبر فأثابه ثوابا عاجلاً وآجلاً. وكان ذكرى لأولي الألباب، فيعلموا أن من صبر على الضر، يُثيبه الله ثواباً عاجلاً وآجلاً ويستجيب دعاءه. إذا دعاه.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ ص: ٤٣

مع قليل من الإيجاز وقد قيل :

لا تحسب المجد تمرا أنتَ آكله ... لا تبلغ المجد حتى تلْعَقَ الصَّبْرا

❖ دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧

وقبل هذا الدعاء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ الصافات: ٩٩ – ١٠١.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

لما أيس من قومه ولم ير فيهم خيرا، دعا الله أن يهب له غلاما صالحًا ينفع الله به في حياته، وبعد مماته " ألقوه في الجحيم ولم يؤمنوا برسالته، فقال : لأن قومه إني ذاهب إلى ربّي : إلى أرض الشام والله سيهديني [ويدلني إلى ما فيه الخير لي، من أمر ديني ودنياي] مابين العارضين للشيخ السعدي رحمه الله. فبشره الله بإسماعيل" بغلام حليم" : وصفه الله بالحلم وهو يتضمن الصبر وحسن الخلق وسيعة الصدر والعفو عمن جنى " و بلاء بعد بلاء، ومحن عظيمة تلقاها إبراهيم ولكنها منح أتت بالخير العظيم، بعد صبر لم يفارقه الخليل عليه السلام أسكن زوجته "هاجر" مع ابنها "إسماعيل " عليه السلام مكة المكرمة قال الشيخ السعدي رحمه الله : "وهو في الرضاع، من الشام حتى وضعهما في مكة وهي - إذ ذاك - ليس فيها سكن، ولا داع ولا مجيب فلما وضعهما دعا ربه بهذا الدعاء فقال متضرعا متوكلاً على ربه (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع) أسكن هاجر وابنها مكة فقط، لأن إسحاق في الشام، وأرض مكة لا تصلح للزراعة، ثم دعا الله أن يجعلهم موحدين مقيمين الصلاة، من أخص وأفضل العبادات الدينية، فمن أقامها كان مقيماً لدينه، ودعا ربه أن يحبهم الناس وتحب هذا الوضع الذي هم ساكنوه. فأجاب الله دعاءه، فأخرج من ذرية اسماعيل محمدا صلى الله عليه وسلم، حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي وإلى ملة أبيهم إبراهيم، فاستجابوا له وصاروا مقيمي و افترض الله حج هذا البيت، الذي أسكن به ذرية إبراهيم وجعل فيه سراً عجيباً، جاذبا للقلوب، فهي تحجه، ولا تقضي منه وطرا على الدوام،

بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه، وعَظُمَ وَلَعُهُ وتَوْقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة " وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون"، فصار يجبي إليه ثمرات كل شيء، فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت، والثمار فيها متوفرة، والأرزاق تتوالى إليها من كل جانب" .

فاعلم أخي رحمك الله، أبشر وترقب الفرج. أن الحياة لا تستقر على حال واحد، بل تتغير وتتبدل من حال إلى حال ، والواجب علينا الصبر والمصابرة والمرابطة، وهذه سنة الله ، بلاء وكرب . ثم يأتي الفرج ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ الشرح: ٥ - ٦.

فالأنبياء قدوتنا منهم نأخذ العبر، فينشرح صدرنا وتقوى عزيمتنا على فعل الخير، ويتفضل الله علينا بالنعم العظام، ويقوى إيماننا فنقصد فعل الخيرات وترك المنهيات مستعينين برب الأرض والسماء. فقال الله تعالى في سورة يوسف ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١١١ ﴾ يوسف: ١١١.

لم فلنأخذ العبرة أثابنا الله وثبتنا على طاعته، فقد أنعم علينا بالعقل إذا استعملناه في التدبر والتفكر في آلائه ونعمه زادنا الكريم من فضله، وإذا قصرنا واتبعنا الشّر نقص وارتفع الجمود والبلادة والعياذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وانظر رعاك الله إلى هذا البلاء العظيم، الذي ابتلاه الله خليله إبراهيم عليه السلام، لما رزقه ابنا بارا حليما، صادق الوعد، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان من العاملين لله بإخلاص ومن العابدين، كبر الغلام التقي إسماعيل، ازداد حب أبيه، ولا يقبل له الشر والضرر، حتى قال له :غير عتبة البيت: فطلق إمرأته، وتزوج بأخرى صابرة محتسبة. لكن الله أراد بقدرته وقضائه [أن يصفي وُدَه و يختبر خلته، فأمره ان يذبح من زاحم حبه حب ربَّه]. بعد بناء الكعبة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢ ﴾ الصافات: ١٠٢.

فلما بلغ إسماعيل عليه السّلام سنا يكون في الغالب، أحب ما يكون لوالديه، قد ذهبت مشقته، وأقبلت منفعته، قال له والده إبراهيم عليه السلام (إني أرى في المنام أني أذبحك) ورؤيا: الأنبياء وحي، فقال إسماعيل صابرًا محتسبا، مرضيا لربه وبارا بوالديه(يأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) أخبر أباه أنه موطن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله تعالى، (فلما أسلما) أي : إبراهيم وابنه إسماعيل جازمًا بقتل ابنه وثمرة فؤاد ه، امتثالا لأمر ربه، وخوفًا من عقابه والابن قد وطن نفسه على الصبر، وهانت عليه في طاعة ربه، ورضا والده (وتله للجبين) أي : تَلَّ إبراهيم إسماعيل على جبينه، ليضجعه فيذبحه، وقد انكب لوجهه لئلا ينظر وقت الذبح إلى وجهه .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٠٥ ﴾ الصافات: ١٠٤ - ١٠٥.

وفعلت كل سبب ولم يبق إلا إمرار السكين على حلقه ؟" اه من تفسير الشيخ السعدي رحمه الله.

ومن الفوائد من تفسيره:

- الجزاء من جنس العمل، لما رضي بأمر الله فأطاعه رضي الله عنه وأبقى اسمه وفعله خالدًا في الآخرين.
- الخلة أعلى أنواع المحبة، وهو منصب لا يقبل المشاركة ويقضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلقة بالمحبوب.
- الفداء بذبح عظيم لإسماعيل وهو من جملة العبادات الجليلة ومن جهة ثالثة أنه كان قربانا وسنة إلى يوم القيامة.

- تفريج الشدائد، والكروب والجزاء على الصبر والإحسان في عبادة الله ومعاملة خلقه **العاقبة والثناء الحسن** إلى يوم القيامة كما هو الحال مع إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ ﴾ الصافات: ١١٠ - ١١١.

فيا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت اجعلنا من المحسنين المؤمنين الموقنين.

- توالي البشارات على إبراهيم عليه السلام. و هذا الجزاء من جراء صبره. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٢ ﴾ الصافات: ١١٢.

وقال الله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ ﴾ الأنبياء: ٧٢.

حين اعتزل قومه بشره الله بالغلام الحليم (إسماعيل)، ثم بشره الله بإسحاق نبينا ويعقوب ابن إسحاق نبياً أيضا فما أعظمها من بشارة، ونعمة جليلة.

- البشارة بوجود يعقوب ووجود ذرية إسحاق.

- البشارة بأن يعقوب من الصالحين، أي : نبيا من الصالحين. قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ١١٣ ﴾ الصافات: ١١٣. نشر الله من ذريتهما ثلاث أمور عظيمة:

1- أمة العرب من ذرية إسماعيل.
2- أمة بني إسرائيل.
3- أمة الروم من ذرية إسحاق اه.

فهذا الخير العظيم الذي أوتيه نبي الله وخليله إبراهيم، من الزوجة الكبيرة العاقر، أنجبت له إسحاق، و من هاجر إسماعيل، وما حصل في تلك الأرض المباركة، من شعائر الحج، وماء زمزم الذي يجري نفعه إلى الآن بفضل هاجر لم تتركه يسيح، والله هو من تفضل عليها ذلك وكتب لها الخلود لإيمانها وتضحيتها وصبرها. فلم يضيعها ربها، وكذلك يجزي الله المحسنين، وبسبب امتثال إبراهيم عليه السلام أمر ربه، بقيت شعيرة الأضاحي باقية، وانتمائنا إلى ابنه إسماعيل، العرب الفاضلة، وسيّد الأولين والآخرين منها صلى الله عليه وسلم. فالدعاء هو العبادة، صبر ودعاء وتوكل على العزيز الحكيم، ويقين أبينا إبراهيم عليه السلام بإجابة دعائه رغم كبر السن فلم ييأس ولم يحزن﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠ ﴾ الصافات: ١٠٠.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١١ ﴾ الصافات: ١١١.

"الثناء على إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بهذين الوصفين، وهما العبودية والإيمان ويتفرع على ذلك: أن من اتصف بالعبودية والإيمان ناله من الثناء بقدر ما اتصف به منهما، فكلما كان الإنسان لله أعبد و به آمن كان الثناء عليه أكثر وأعظم، ولا تغتر بما تلاقيه في الدنيا من مجابهات فإن هذا قد يرد ولكن يكون إمتحاناً و ابتلاء واختبارا ويكون الثناء ولو بعد موت الإنسان، كم من أئمة من هذه الأمة أوذوا في حياتهم، ولكن بعد مماتهم صار جزاء هذه الأذية أن الله تعالى: وقع لهم الذكر، وصارت العاقبة لهم ، والثناء الحسن بعد مماتهم، والشواهد على ذلك كثيرة " اهـ

❖ دعاء الحِبُّ بن الحِبّ يوسف عليه السلام:

قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾ يوسف: ٣٣.

قال الشيخ السعدي رحمه الله فاستحب السجن والعذاب الدنيوي على لذة حاضرة توجد العذاب الشديد (وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ إليهن) أي: أمل إليهن فإني ضعيف عاجز، إن لم تدفع عني السوء(وأكن) إن صبوت إليهن (من الجاهلين) فإن هذا جهل، لأنّه آثر لذة قليلة منغصة على الذات متتابعات وشهوات متنوعات في جنات النعيم، و من آثر هذا على هذا فمن أجعل منه ؟؟ فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة".

وبعد هذا الصبر استجاب له الله وصرف عنه السوء والفحشاء .

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤ ﴾ يوسف: ٣٤

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (إنه هو السميع) لدعاء الداعي (العليم) لم بنيته الصالحة وبنيته الضعيفة المقتضية لإمداده بمعونته ولطفه "...

ولسبب صبره وتقواه أوصله الله إلى أحسن الأحوال ما لم تكن في الحسبان قَالَ تَعَالَى:﴿ ... مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾ يوسف: ٩٠.

وقَالَ تَعَالَى:﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ﴾ يوسف: ١٠٠.

قال الشيخ السعدي رحمه الله:(إن ربي لطيف لما يشاء)يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها (إنه هو العليم) لم الذي يعلم ظواهر الأمور وبوطنها. وسرائر العباد وضمائرهم (الحكيم) في وضعه الأشياء مواضيعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها " اهـ

فاللهم أحسن إلينا وهب لنا من لدنك رحمة - رب اصرف عنا السوء والفحشاء . ربّ اصرف عنا كيد الأعداء ولا تجعلنا من الجاهلين. وكذلك يُجزى الصابر المتقي ، يرجُوا الثواب على البلاء والأجر . ولا يجزع ويتسخط، بل يُحسن الظَّنّ بربه ويحمده على كل الأحوال، مع الابتهال والتضرع لله سبحانه وتعالى، ويجتنب ما حرم الله و يمتثل ما أمر الله، فهذا هو الواجب علينا لتكون لنا العاقبة الحسنة.

قَالَ تَعَالَى:﴿ ... قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾ يوسف: ٩٠.

فيا أخي رحمني الله وإياك، من ابتلي بمثل ما ابتلي به يوسف عليه السلام، وهو المكر والخديعة والحسد، ولو كان من الأقربين أو بتخطيط الأعداء لك، حتى أخرجوك من الأمن إلى الاضطراب ومن الفرح إلى الأحزان، ومن التنعم بالنظر إلى الوالدين والعيش معهما، إلى العزلة والإنفراد بل لا مأوى ولا أحباب. فل تصبر صبرا جميل، حتى وإن طال البلاء جميلا حتى وإن طال البلاء، فلا بد أن ينجلي والله لا يضيع أجر المحسنين، فاستبشر - خيرا أخي عافاك الله- وسيرفعك الله بقدر إيمانك وتقواك وعملك الصالح والنية الصادقة قال الرسول صلى الله عليه وسلم :"إن الله إذا أحبَ قَوما ابتلاهُم" ولا تحزن بكثرة الانشغال بالهموم، وتذكر الحال الأولى مع الحقد على الماكرين، بل أعف عنهم، فإن سامحتهم وعفوت

عنهم عفا الله عنك وأعزك، وتوكل على ربك وخذ العزم على الصبر والعبادة الدائمة، وسيؤتيك الله مالا في الحسبان وخذ طريقة يوسف عليه السلام تفز، لم يوبخ ولم يلم إخوته بل سامحهم [من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان الذي يتأتي إلا من خواص الخلق، وخيار المصطفين] [الشيخ السعدي رحمه الله].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يوسف: ٩١ - ٩٢

فأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكشف كل كرب و بلاء ويثبتنا وإياك على الإيمان حتى نلقاه، ويفرج عنك - أخي الصالح – الهم والكرب ، إنه على كل شيء قدير.

وقد يقول قائل : هؤلاء أنبياء وحالهم أرفع منا، لذلك الله رفعهم بعد البلاء. وهم يوحى إليهم، وبَشر اصطفاهم الله. فكيف بحالنا ونحن المذنبون الضعفاء، ولا نعرف مالنا للجنة أم إلى النار - والعياذ بالله قصص حقيقية ولكن لا يمكن أن يلحقنا ما لحقهم ؟!

الجواب : وقد أجاب الله عن هذا في عدة سور والحمد لله ،

1- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١.

" فمن فعل مثل فعلهم ناله مالهم من الكرامة "

2- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٨.

" وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم، أن الله تعالى سينجيه منها، وعنه يكشف عنه ويُخفف، لإيمانه كما فعل، بيونس عليه السّلام ".

3- وقال الله تعالى في سورة الأنبياء ﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأنبياء: ٩١.

" فكانت وابنها آية للعالمين يتحدّث بها جيلاً بعد جيل، ويعتبر بها المعتبرون".

ولما ذكر الأنبياء عليهم السّلام، قال مخاطباً للناس، (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) أي: هؤلاء الرسل المذكورون، أمتكم وأئمّتكم الذين بهم تأتمون، وبهديهم تقتدون كلهم على دين واحد، وصراط واحد، والرب أيضا واحد".

4- قال الله عن عبده أيوب عليه السلام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٣ – ٨٤.

أي جعلناه عبرة للعابدين، الذين ينتفعون بالعبر فإذا رأوا ما أصابه من البلاء ثم ما أثاب الله بعد زواله، ونظرُوا السبب وجدوه الصبر ...

5- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ مريم: ٥٨.

"لما ذكر هؤلاء الأنبياء المكرمين وخواص المرسلين، وذكر فضائلهم ومراتبهم قال: (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أي : أنعم الله عليهم نعمة لا تلحق ، ومنة لا تُسْبَق من النبوة والرسالة ، وهم الذين أمرنا أن ندعو الله أن يهدينا صراط الذين أنعم عليهم ، وأن من أطاع الله (مع الذين أنعم الله عليهم النبيين) ...

(جميع الآيات) من تفسير الشيخ السعدي رحمه الله

5- فصل في مسائل للعلامة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله:

1- مسألة دفع القدر بالدعاء :

س: فضيلة الشيخ كيف يجمع بين أن الدعاء يرد القدر وأن الأمور جميعها مقدرة قبل خلق السموات والأرض ؟

ج : نجيب بأن الله سبحانه وتعالى مقدَّر للأشياء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وقدر أن هذا الشيء الذي كان بصدد أن يحدث من البلاء قد قدر ما يمنعه وهو **الدعاء** ، فيكون الدعاء مقدرا وكذلك ما كان بصدد النزول من **البلاء** مقدرا.

فيكون هذا الشيء الذي امتنع أو ارتفع من البلاء بعد نزوله بسبب الدعاء يكون قد قدر من الأصل أنه سيرتفع بهذا الدعاء ، أو أنه سيمتنع بهذا الدعاء، ف**الدعاء** مكتوب من الأول و**البلاء** مكتوب من الأول، فإذا دعا الإنسان أن يرفع الله عز وجل **البلاء** بعد نزوله فارتفع بدعائه كما هو مشاهد الآن يدعو الإنسان فيرتفع البلاء فهذا معناه أن الله قد كتب في اللوح المحفوظ أن هذا **البلاء** سينزل ويرفعه **الدعاء**. إذا : كلّ منهما مكتوب البلاء المتوقع نزوله يمتنع بالدعاء فيكون هذا **البلاء** الذي كان بصدد النزول قد قدر الله له دعاء يمنعه ولهذا أمر النبي عليه الصلاة والسلام إذا كسفت الشمس أو القمر أن نفزع للصلاة والدعاء لأن الله ينذرنا ببلاء سينزل ولهذا قال (يخوف الله بهما عباده) ولم يقل ينتقم الله بهما من عباده، لكنه تخويف، وإنذار من الله عزّ وجل فإذا صلينا ودعونا الله فإن هذا الذي أنذرنا به بهذا الكسوف يمنعه الله عزوجل. كما أن الدعاء نفسه عبادة سواء أجيب أم لم يُجب، وما من إنسان يدعو الله بصدق إلا أعطاه الله وتعالى واحدة من ثلاث:

1. إما أن يعطيه ما سأل.
2. أو يكف عنه من الشر ما هو أعظم.
3. أو يدخر ذلك له عنده يوم القيامة ثواباً.

2 -إصابة الإنسان بالعين وعلاج ذلك:

س:فضيلة الشيخ :هل يصاب الإنسان في دينه فينحرف بسبب العين وهل يأثم على ذلك؟وماهو العلاج؟

ج:ربما يصاب الإنسان بالعين في كل شيء وفي كل نعمة لقوله تعالى:﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ الفلق: ٤ – ٥.

وفي الأمثال العامة المنتشرة "كل ذي نعمة محسود" فقد يصاب الإنسان المتدين ب**العين**، ويضيق صدره بالعبادة أو يصاب **بالعين**، فينسى ماحفظ،ف**العين**-نسأل الله العافية-قال الرسول صلى الله عليه وسلم" لو سبق القدر شيء لسبقته العين"و دواء ذلك أن يبحث عن العائن ليعمل ما أمر به الرسول عليه الصلاة والسلام حتى تزول العين فإن لم يمكن فبكثرة القراءة والاستغفار وكثرة قول : " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين " . قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨ ﴾ الأنبياء: ٨٨.

وهذه الكلمة كل من قالها بصدق، حال الغم فإن الله تعالى يذهب البلاء لأن الله قال وهو أصدق القائلين وأقدر الفاعلين (وكذلك تنجي المؤمنين) فعليه أن يتوب ويستغفر ويكثر من الاستغفار والتوبة والذكر والقراءة وقول : " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". وقول: "اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم " وأمثال ذلك من التعوذات.

السائل هل ينحرف عن دينه بسبب العين ؟

الشيخ : مسألة الانحراف لا أدري لكن كونه يضيق صدره بالعبادة التي حسد عليها يمكن هذا .

السائل، هل يأثم على ذلك ؟

الشيخ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ ﴾ البقرة: ٢٨٦.

لكن فعل المحرمات يأثم عليها .

3-محبة الأنبياء عليهم السلام:

س: يقول الرسول صلى الله عليه وسلّم :"لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". فهل هذا الحكم عام في جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أم خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ؟

ج: هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم أما الأنبياء فمسكوت عنهم ولكن يجب علينا أن نحب الأنبياء لما لهم من مقام الصدق وإبلاغ الرسالة والصبر والتحمل لأننا نحبهم لله وهم على رأس من نحبهم لله ، فكما يجب علينا أن نحب شخصا لله يجب علينا أن نحب الأنبياء أكثر وأكثر أما أن نلحقهم بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يثبت ذلك.

4-حكم الدعاء:(اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه):

س : أحسن الله إليك : كثيرا ما نسمع في الدعاء (اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه) ما صحة هذا ؟ ج : هذا الدعاء الذي سمعته : (اللهم إنا لا نسألك رد القضاء وإنما تسألك اللطف فيه) دعاء محرم لا يجوز وذلك لأن الدعاء يرد القضاء كما جاء في الحديث لا يرد القدر إلا الدعاء" وأيضا: كأن هذا السائل يتحدى الله يقول: اقض ما شئت ولكن اللطف. والدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به وأن يقول: اللهم إني أسألك أن ترحمني، اللهم إني أعوذ بك أن تعذبني وما أشبه ذلك، أما أن يقول: لا أسألك رد القضاء، فما الفائدة من الدعاء إذا كنت لا تسأله ردّ القضاء والدعاء يرد القضاء فقد يقضي الله القضاء ويجعل له سببًا يمنع ومنه الدعاء. فالمهم أن هذا الدعاء لا يجوز ويجب على الإنسان أن يتجنبه وأن ينصح من سمعه بأن لا يدعو بهذا الدعاء.

5-أقسام المصائب وأقسام الناس إتجاههم:

س: بالنسبة للمصيبة التي تصيب المسلم كيف يفرق المسلم بين كونها مكفرة للذنوب ورافعة للدرجات وبين أن تكون نذيرا من الله سبحانه وتعالى للإنسان؟

ج: أولا يجب أن نعلم أن الله قال في الكتاب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ الشورى: ٣٠.

الأول: إما أنها بما كسبت يده فيعاقب على المعصية في الدنيا وعقوبة الدنيا أهون من عقوبة الآخرة.

الثاني: وإما أن تكون من أجل امتحانه حتى يصل إلى درجة الكمال في الصبر ، لأن الإنسان بين حالين: إما سراء فوظيفتها **الشكر**أو ضراء فوظيفتها **الصبر**. فلا يصل الإنسان إلى درجة الصبر إلا بشيء يصبر عليه، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبتلى أكثر ممّا يُبتلى غيره، حتى إنه يوعك بالمرض كما يوعك الرجلان منا.

وشدد عليه، عليه الصلاة والسلام عند الموت من أجل رفعة درجته بمقام الصبر، فالإنسان يُبتلى بلاء خاصا إما بسبب ذنوب ارتكبها فيكفر الله عنه بهذه المصيبة، وعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، ولهذا بعض الناس إذا فعل ذنوبا ثم حصلت عليه مصائب وبلايا يشكر الله على هذا لأنه يقول عليم الله بذنبي فعاقبني في الدنيا قبل الآخرة، وعقوبة الدنيا أهون من عقوبة الآخرة، فيجعل ذلك نعمة يشكر الله عز وجل عليها و الإنسان إذا أصيب ببلاء فله أربع حالات:

الأولى: إما أن يتسخط بقلبه أو جوارحه، فيشق الجيب وينتف الشعر ويلطم الخد ويرى في قلبه أنه ساخط على ربه والعياذ بالله - فهذا في أدنى الدرجات وهو آثم وقد تبرأ منه الرسول عليه الصّلاة والسلام فقال: " ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية".

الثانية: وإما أن يصبر و يحتسب مع كراهته لما حصل فهذا قام بالواجب وله أجرُ الصابرين، وإذا احتسب الأجر على الله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠ ﴾ الزمر: ١٠

الثالثة: حالة أكمل من القبر وهي **الرِّضا**، الرّضا أكمل من الصبر، فالصابر ساخط للبلاء لكنه صابر، والراضي متساو عنده الأمران بالنسبة لقضاء الله عز وجل، ويقول في نفسه: ما قضى الله هذا لي إلا خيرا فيرضى تماما، ويكون حاله غير متأثر إطلاقا لا بقلبه ولا بجوارحه .

الرابعة: أن يكون في مقام الشكر، كيف بشكر الله على المصيبة ؟

تقول وجهه ما ذكرت لكم قبل قليل: أنه يعلم إذا كان قد فعل ذنوبا - أن هذه عقوبة لذنوبه، فيشكر الله أن عجل له العقوبة لتكون في الدنيا، وذلك أهون كونها في الآخرة، ثم يشكر الله على أنه إذا رضي وصبر كانت خيرًا له فيشكر الله على ذلك "كلامه رحمه الله.

وفي الأخير هذا ما تيسر جمعه ونقله، وما توفيقي خير إلا بالله العزيز الحكيم. أسأل الله ان يجعله جمعا مباركا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به وجميع من قرأه أو صححه. وما كان من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان. كما أسأله سبحانه أن يغفر لي ويعافيني ووالدي وجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم و الأموات.
ولاحول ولا قوة إلا بالله.

و صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
ولله الحمد.